

يهود المغرب واسرائيل

فاطمة الحسن*

كان اليهود المغاربة يشكلون جزءاً من النسيج الاجتماعي المغربي قبل مغادرة غالبيتهم للمغرب في أعقاب نكبة فلسطين التي نجمت عن تأسيس الكيان الصهيوني وإعلان قيام "دولة اسرائيل" سنة 1948؛ فهل يمكن لليهود المغاربة أن يكونوا اليوم عنصراً إيجابياً في حل قضية فلسطين التي نشأت نتيجة للهجرة الاستيطانية الاحلالية إلى فلسطين والتي شاركوا في الهجرة إليها غيرهم من الجماعات اليهودية الأخرى؟ وهل من دور يمكن للسياسة الخارجية المغربية في جعل هذا الامكان واقعاً فاعلاً؟

•

عشية نكبة فلسطين عام 1948 كان تعداد اليهود المغاربة قد قارب 300 ألف نسمة، إلا أنه تواجدهم انخفض داخل المغرب تحديداً بعد إنشاء إسرائيل على أرض فلسطين التي سيهاجر إليها قرابة 80 % من اليهود المغاربة. وستتناقص تدريجياً عدد اليهود بالمغرب إلى 200 ألف عام 1955 في ذروة الهجرة إلى إسرائيل، وسيصل سنة 1975 إلى 20 ألف نسمة. ثم يضحى 8000 عام 1993¹. وهو الآن قد لا يتجاوز في بعض التقديرات العشرة آلاف وقد يصل في أعلى التقديرات إلى سبعين ألفاً².

على أي من الأحوال، يظل واقعاً أن الآلاف من المغاربة اليهود الذين هاجروا من المغرب لم يقطعوا صلتهم به، ويزورون المغرب بانتظام بدافع الانتماء والبحث عن الجذور والهوية العاطفية. ويرى سيرج بيير ديغو رئيس مجلس الطوائف اليهودية بالمغرب، والسفير المغربي المتحول، والوزير المغربي الأسبق أن اليهود المغاربة منخرطون في النسيج المؤسسي لبلدهم حيث الجميع سواسية أمام القانون، وأن وجود اليهود في المغرب هو رمز حقيقي وواقعي للتعايش الممكن والمثمر بين المسلمين واليهود، وذلك ما يدسم بالفعل روح المصالحة الحقيقية بين ورثة إبراهيم³.

كما يرى بيير ديغو أيضاً أن اليهود المغاربة لم يتخلوا أبداً عن بلدهم الأصلي، بدليل أن حوالي 5 آلاف من "السياح" اليهود المغاربة يأتون لأجل الاحتفال بعيد الفصح بالمغرب وللصلاة في عدد من الأماكن التي يعتبرها اليهود المغاربة مقدسة لديهم وغالباً ما تكون عبارة عن مقامات أو قبور لأجدادهم (حاييم بنتو بالصويرة)⁴.

* طالبة دكتوراه، تخصص قانون عام وعلوم سياسية / جامعة محمد الخامس، كلية الحقوق أكادال، الرباط <fatmaelhassan@hotmail.com>

¹ Abd El Majid ben Youssef, « Bibliographie générale sur la communauté juive marocaine,

دار النيابة رقم 13 (1987) ص 25-39.

² Rosita Fibbi et Jean-Baptiste Meyer, « Diasporas Développements et mondialisation », Autrepard, Institut de recherche pour le développement, l'Aube, 2002, p57.

³ تسامح المغاربة مكن اليهود من الحفاظ على عقيدتهم، لقاء مع سيرج بيير ديغو، مجلة مغرب اليوم، 14-20 ماي 2010، ص: 34.

⁴ تسامح المغاربة مكن اليهود من الحفاظ على عقيدتهم، لقاء مع سيرج بيير ديغو، مجلة مغرب اليوم، 14-20 ماي 2010، ص: 34.

ويعيش في فلسطين اليوم أكثر من 900 ألف يهودي مغربي بينما يتواجد غيرهم من مهاجري المغرب اليهود في أقطار أخرى أهمها فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا⁵. وبظل أن من تبقى من الطائفة اليهودية بالمغربا زال يحافظ على حضور وازن في المجال الاقتصادي وعلالولاء للعرش المغربي الحامي التقليدي لليهود المغاربة⁶.

كما أن اليهود المغاربة لم يكونوا بمنأى عن التواصل مع المسؤولين المغاربة؛ فعلى سبيل المثال، لبي مسئولو الطائفة اليهودية بالمغرب سنة 1975 استدعاء الحسن الثاني لمحمين طلب منهم التوجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدفاع عن مغربية الصحراء أمام نظرائهم من اليهود الأمريكيين. كما كان لهم تأثيرهم في أوساط مختلف الجاليات اليهودية؛ وشاركوا في أكتوبر 1985م في تأسيس التجمع العالمي لليهود المغاربة في كندا، وقد اشتهر هذا التجمع بتواجد جملة من السياسيين المغاربة من أشهرهم⁷:

رافي ايديري Raby Edery وكان نائباً في حزب العمل ونائباً لرئيس الكنيست الاسرائيلي،
سيرج بيرديغو Berdugo Serge من أهم رجال الأعمال الناجحين ورئيس الطائفة اليهودية المغربية وكان كذلك وزير للسياحة بين نونبر 1993 وفبراير 1995؛
أندري أزولاي André Azolay مستشار صاحب الجلالة في الشؤون الاقتصادية والإعلام منذ 1991.
وأخيرا روبر الصراف Robert Assaraf، وهو كادر وخبير اقتصادي رفيع في ONA .

ومن المهم ملاحظة أن قرابة المليون يهودي مغربي الذين استوطنوا فلسطين قد اختاروا بأنفسهم الهجرة وأنها لم تفرض عليهم من مواطنيهم المغاربة.. وحول هذا، يلاحظ الصراف أنه بالرغم من وقوع بعض أعمال الشغب المعادية لليهود في المغرب- في أعقاب نكبة فلسطين وغيرها من فترات تأزم الصراع العربي الصهيوني- إلا أن ذلك لا يبرر وحده نزوح اليهود المغاربة إلى الكيان الصهيوني الاسرائيلي بفلسطين خاصة أن لقاء اليهود المغاربة مع "المشروع الصهيوني" قد حدث غداة أن كان وضعهم داخل المغرب يعرف تغيرا ايجابيا خلبموجبه نظام "الذمة" مكانه بعد أن تم الإعلان عن "المساواة المدنية والسياسية الكاملتين" بين المغاربة يهودا ومسلمين.. هذا بالإضافة إلى اعتبارهم ينتمون إلى وطن قد عانى مدة النصف قرن من القمع الاستعماري وإلى أن استطاع أن ينال استقلاله. إلا أن الصراف نفسه يتأسف على أن هذا الاستقلال قد تُوَّجَّ بعضوية المغرب في الجامعة العربية.. ويزداد الأمر غرابة عندما نتبين أن الصراف يري أن "القومية العربية المسلمة" معادية للسامية؛ أي أنه يرى تعارضاً يبلغ حد التناقض بين هوية المغرب وانتمائه العربي الاسلامي⁸.

مما يلفت النظر أن شخصاً كروبير الصراف، لا يتوانى وهو يؤكد تأييده لمبادرة السلام الفلسطينية الإسرائيلية، أن يرى في مساندة المغرب للحقوق الوطنية لعرب فلسطين في أرضهم وبالتالي مناوئة المغرب للصهيونية شكلاً من أشكال معاداة السامية.. ولعل هذا ما يفسر امتناع الصراف عن ادانة الانتهاكات الصهيونية وممارساتها الاجرامية ضد الفلسطينيين والتي

⁵ "فسيفساء يهود المغرب بين أرض الميعاد وأرض الأجداد"، موقع الجزيرة نت <http://www.aljazeera.net> . تاريخ الدخول على الشائكة: 19 42014.

⁶ Abdelaziz BENABDALLAH, Membre de l'Académie du Royaume du Maroc, « Les juifs au Maroc Pérennité islamo-Hébraïque Millénaire », édition RIBAT AL FATH, 2009, imprimerie OMNIA-rabat, pp 7-30.

⁷ Dossier et articles de Ruth GROSCHARD, « Le Juif en nous, au cœur de l'identité marocaine », Tel Quel, n°348, 22 novembre 2008.

⁸ Robert Assaraf, Juifs du Maroc à travers le Monde/Emigration et identité retrouvée, éditions Bouregreg, 2^{ème} édition, 2009, p10.

تسهدف أرضهم وهويتهم وثقافتهم وتاريخهم ووحدة الانتماء العربي الاسلاميينهم وبين أشقائهم المغاربة. غير أن هناك في واقع الأمر مواقف أخرى ليهود عرب ومنهم مغاربة بارزون ستتعرض لهم لاحقاً، ونكتفي هنا بالاشارة في هذا الخصوص إلى موقف السيدة ماجدة شحاتة هارون رئيسة الطائفة اليهودية بمصر (2013) - والتي ينظر إليها على أنها من اليهود العرب المخلصين لوطنتيتهم الذين أبوا هجرة وطنهم والالتحاق بالمشروع الصهيوني - والتي أكدت أن التفريق بين مسلم وإرهابي ينتمي إلى القاعدة هو كالتفريق بين يهودي وصهيوني⁹. غير أن موقف الصراف وغيره من العرب الصهاينة يستدعي وقفة لتبين سياق ظهوره في أوساطهم.



بداية الدعوة إلى الحركة الصهيونية داخل المملكة المغربية: بدايات الفترة الاستعمارية الفرنسية-الاسبانية منذ 1912 ونشوب الحرب العالمية الأولى تركت أثرها سلباً على جهود الحركات اليهودية الصهيونية في المغرب بعد أن كانوا ينشطون خفية ودون علم "المملكة الشريفة". وهو تأثر زاد من حدته أن الحركة الصهيونية في المغرب كانت بفعل العامل الديني الاسلامي بعيدة عن التمتع بالصفة "الثورية" التي اتسمت بها الحركات الصهيونية داخل أوروبا الوسطى والشرقية في مواجهة ما كانت تعانيه من قمع واضطهاد. وفي هذا السياق نفهم ما صرح به يومئذ السيد سمّاش Semach مدير مدرسة طنجة وأحد المسؤولين عن التحالف الإسرائيلي العالمي Alliance Israélite Universelle قائلاً¹⁰:

"يمكنني أن أقول أنه إلى غاية اليوم ليس هناك صهيونية في المغرب [...] ان الصهيونية المغربية هي اليوم بلا أهمية تذكر، ونحن بحاجة إلى بروباجندا ناشطة قادرة على أن تمد جذور التواصل مع الصهيونية الأوروبية".

وباستثناء يهود طنجة، لم يكن اليهود المغاربة يومئذ قد سمعوا بوعده بلفور (1917) الذي أعلنت من خلاله الحكومة البريطانية تعاطفها مع فكرة "تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين". وفي هذا السياق بعث رئيس الجالية اليهودية بطنجة إلى زميله رئيس الجالية اليهودية في الدار البيضاء قائلاً:

"أبعث لكم ببعض النسخ الخاصة بالإعلان الذي وجهه الجنرال اللنبي إلى سكان القدس. ولقد تم إرسال هذه النسخ إلى من العاصمة لندن بغرض توزيعها على الأفراد المنتمين إلى الديانة اليهودية. وقد تمت كتابة هذه النسخ بالعبرية. أرجو أن تتفضلوا بتوزيع هذه المنشورات إلى أفراد الجالية اليهودية بمدنكم. وقد تم إلحاق ملف يحتوي على وثائق تؤكد دعم بريطانيا للقضايا اليهودية منذ كرومويل Cromwell إلى اللورد بلفور.

غير أن المقيم العام الفرنسي الجنرال ليوطي كان (1919) يرفض باستمرار السماح لخلية الصهاينة لموجادور Mogador (شاعري زاين) من استئناف نشاطاتها مما جعل اليهود المغاربة ذوي التوجه الصهيوني يلجأون إلى نخوم سوكولوف رئيس البعثة الصهيونية في قصر فرساي من أجل رفع ذلك الحظر على أنشطتهم. وفي هذا الشأن بعث سوكولوف في 24 يوليو 1919، إلى موظف كبير في كاي دورسيه¹¹ قائلاً:

⁹ المصري اليوم (القاهرة)، 15 يوليو 2013

¹⁰ Robert Assaraf, Juifs du Maroc à travers le Monde/Emigration et identité retrouvée, éditions Bouregreg, 2^{ème} édition, 2009, p15 ; Voir aussi : Abdelaziz BENABDALLAH, Membre de l'Académie du Royaume du Maroc, « Les Juifs au Maroc Pérennité Islamo-Hébraïque Millénaire, Edition Ribat Al Fath, 2009/1430

¹¹ الكي دورسيه (Quai d'Orsay)، في الرقم 37 من الشارع الذي يستحضر اسم أحد زعماء التجار في القرن الثامن عشر حيث مبنى وزارة الشؤون الخارجية والأوروبية. بدأت أعمال البناء عام 1844 وانتهت عام 1855 وهي مجموعة متجانسة تمثل الفنون الزخرفية في الأمبراطورية الثانية. كلف وزير الخارجية آنذاك السيد غيزو (Guizot) بالمشروع المهندس المعماري لاكورني Lacornée. وضع حجر الأساس الأول في نوفمبر/ تشرين الثاني 1845

"لقد تلقيت مرات كثيرة عددا من البرقيات من طرف الجاليات اليهودية في المغرب، والتي تخبرنا بعدم قدرتها على تأسيس جمعيات صهيونية. وإني اعتقد أن هناك أسباب سياسية غاية في الجدلية قد منعت الجنرال ليوطي من إعطاء رخص في شأن هذه الجمعيات لجالياتنا اليهودية في المغرب".

وكحل وسط اقترح نخوم سوكولوف إعطاء اليهود المغاربة رخصة الالتحاق باجتماعات الفدرالية الصهيونية الفرنسية خاصة أن فرنسا التي كانت على علم بإعلان بلفور لم ترد أن تستأثر بريطانيا وحدها بمساندة الحركة الصهيونية. وهكذا، لوحظ بعدها حدوث موجة من الهجرة اليهودية المغربية إلى فلسطين، وكانت أكبر الأعداد المهاجرة (في 1919) من مدينتي مراكش والدار البيضاء: إذ هناك 224 هجرة من الدار البيضاء من أصل 442 من المغرب.. لكن يحيى زكوري رئيس الجالية اليهودية في الدار البيضاء ومفتش المؤسسات الإسرائيلية يعلق على هذه الهجرة بأنها قد تمت بفضل البروباجاندا الصهيونية التي خيلت إلى هؤلاء المهاجرين بأنهم يستطيعون الاعتماد على مصادر لا تنضب للدولة اليهودية الموعودة¹².

وبعد انتهاء مدة الجنرال ليوطي في المغرب في خريف 1925، تم استبداله بثيودور ستييج وهو فيلسوف مقرب من التوجه الصهيوني الراديكالي، وعامل سابق في الجزائر. وفي سنة 1926، كتب ثيودور لنخوم سوكولوف قائلاً:

"إن السلطان يرفض قطعياً التسامح مع كل دعاية من شأنها أن تقلل أعداد المواطنين المغاربة اليهود. ولذلك فانه من اللازم السماح للجاليات اليهودية في المغرب الاشتغال معنا دون إحداث أية جلبة [حتى يتمكنوا من] تحقيق حلمهم بتأسيس دولتهم الموعودة"

ومن الواضح أنه لم يكن يخفي حينئذ أن انضواء يهود المغرب في المشروع الصهيوني يتعارض الى حد التناقض مع تعهدهم بالإخلاص لمليكهم وبالوفاء بالتزاماتهم كمواطنين مغاربة.. لذا يحذر ثيودور ستييج في رسالته تلك من لفت الأنظار لثلاث تأثيرات: نقمة المغاربة المسلمين ضد مواطنيهم اليهود. وفي إجابة لهذه الرسالة ردّ سوكولوف مؤكداً بأن "اليهود الذين يريدون النزوح من المغرب من أجل المشاركة في تأسيس البيت اليهودي في فلسطين لن يواجهوا أية عقبة في طريقهم".



وفي فترة الستينات ومع ارتفاع موجة الهجرة اليهودية، عمد المغرب إلى انتهاز سياسة التهدة منتهاً مناسبة عيد الغفران. وهكذا- وبتكليف من الأمير (آنذاك) مولاي الحسن الذي كان منشغلاً بأعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة- تولى السفير الأسبق للملكة المغربية بالقاهرة، السيد عبد الخالق الطريس، إلقاء الخطاب الخاص بالجالية اليهودية الذي يقام كل عيد غفران لتهنئتها. وخلال هذا الخطاب الوجيز خاطب عبد الخالق الطريس الطائفة اليهودية المغربية قائلاً¹³:

وبحضور السادة: غيزو ولاكورني ووزير الأشغال العامة ديمون (Dumon). وقد كلف نخاتون بأعمال الزخرفة، سبق لغالبيتهم أن شاركوا في بناء أو في ترميم كنائس (نوتر- دام في باريس، وسان- فانسان دو بول إلخ...) أو قصور (بلوا، سان-كلو...). شهدت الأعمال توقفاً خلال ثورة 1848 ثم عاودت بمبادرة من الإمبراطور نابليون الثالث. على أثر الإنتهاء من الأعمال الأساسية عام 1853، استدعي لأعمال الزخرفة الداخلية فنانون معروفون في ذلك العصر مثل سيشان، نولو و روي، مولكنشت، لافني، ليونار، هيبوليت آدم، الأخوة هوبير... أعدّ المبنى لاستقبال كبار المسؤولين والدبلوماسيين الأجانب ولذلك وجب أن يليق بالمقام. وتشغل وزارة الخارجية هذا المكان منذ أواسط القرن التاسع عشر.

<http://www.diplomatie.gouv.fr>

¹²Robert Assaraf, même ouvrage, p 24, 25.

¹³ انظر د.أحمد شحلان، "اليهود المغاربة من منبت الأصول الى رياح الفرقة"، قراءة في الموروث والأحداث، دار أبي قراقرط للطباعة والنشر، ط1، الرباط، 2009

"إخواني الأعزاء، كلكم تعلمون أن جلالة الملك يحيطكم باهتمام خاص ومعاملة مميزة. إن اليهود المغاربة ينتمون إلى هذه الأمة، ولا ينوي أي أحد كان انتقاص أي من حقوقكم الوطنية. لقد دفن آباؤكم في هذه الأرض. وهي الأرض التي سيولد فيها أطفالكم. إن حقوقكم في هذه الوطن هي نفس الحقوق التي تتمتع بها. وبمناسبة هذا اليوم، الذي هو يوم الغفران، أستغل هذه الفرصة لتذكركم بأن سياسة جلالة الملك التي تهتم بمشاكلكم لم تتغير: إنكم مواطنون كاملي الوطنية. لذلك واصلوا المساهمة في الرفع من هذا الوطن وخدمة مصالحه لأنه وطنكم الوحيد. لا تفكروا في وطن آخر. وطنكم الوحيد هو هذا الوطن، وكل آمالكم يجب أن توجه لهذا الوطن".

وتبين هذه الرسالة التزام سياسة المغرب تجاه مواطنيه من اليهود المغاربة وأنه كان على الدوام متمسكا بهم، وأنهم لم يجبروا على ترك بلدهم المغرب. وأن المغرب متمسك بكل مكوناته على اختلاف خصوصيات جماعاتها الفرعية.

إلا أنه مع تدهور الأوضاع في فلسطين ومع زيارة جمال عبد الناصر للمغرب، وجد منظمو الهجرات اليهودية الوقت سانحا لتسريب عدد من اليهود عبر الموانئ المغربية بشكل سري. وعند وقوع عدد كبير من الوفيات غرقاً، رأت بعض الأصوات في الغرب تحميل المغرب هذه المسؤولية نتيجة تمسكه باليهود المغاربة وحظر هجرتهم إلى فلسطين. ورد المغرب على لسان وزير الإعلام مولاي أحمد العلوي الذي اعتبر أن المنظمات الصهيونية هي المسئول الحقيقي عما حدث لليهود المغاربة الذين اختاروا الهجرة السرية ومؤكداً أن:

"مكان اليهودي المغربي هو في المغرب ولا يجب عليه أخذ مكان عربي في فلسطين. إن الرحيل إلى إسرائيل يشكل خيانة وهجران. وليس لنا أي حق في التخلي عن وطننا، وإنما علينا التمسك به، لأن مصير الجاليات المسلمة واليهودية واحد والتي لطالما عاشت جنباً إلى جنب بروح التعايش والسلم، إلى درجة أنه يصعب في الأطلس الكبير التفرقة بين يهودي ومسلم... وإذا كان هناك محرزين صهانية على الكره، فعليهم تحمل عقبات مساعيهم"¹⁴.

وفي مقال في جريدة الفجر الحكومية، تم الإشارة إلى "الاختراق الصهيوني داخل المغرب" بالقول:

[لم يجرماليهود المغاربة من المساواة في الحقوق مع أخوتهم المسلمين بالرغم من أنهم لم يقدموا نفس التضحيات التي قدمها المغاربة المسلمون غداة عقد النضال من أجل الاستقلال. وعلى الرغم من الصعوبات التي وضعتها السلطات الفرنسية، تم تأسيس مراكز صهيونية والترويج لها. وقد شغل اليهود مناصب مهمة في الإدارة المغربية حولت لهم الاضطلاع على أسرار الدولة والكشف عنها. وعود المساهمة في النضال الوطني، فضلت المراكز اليهودية التجسس وتعريض وطنها للخطر. إن الوضع أخطر مما كنا نتوقع، لذا من الضروري ردع اللذين تخطوا هيبة الدولة، وانتهكوا القوانين وعرضوا المؤسسات المقدسة إلى الخطر]¹⁵.

وقد أعرب الحسن الثاني في كثير من المناسبات عن تمسكه باليهود المغاربة وضمانه لمساواة حقوقهم مع حقوق إخوانهم المغاربة المسلمين. كما ذكر مواطنيه المسلمين بأنه لا يجوز الخلط بين اليهود المغاربة المخلصين لوطنهم المغرب، واليهود الاسرائيليين المغاربة الذين التحقوا بإسرائيل والذين صنفهم باعتبارهم "معتدين" على أرض ليست لهم. وعلى هذا الأساس دعا من جهة، المغاربة إلى عدم المقاطعة اقتصاديا لليهود الذين اختاروا البقاء في بلادهم المغرب. كما ندد من جهة أخرى بأي عون يقدمه اليهود المغاربة إلى الصهيونية باعتبار أن ذلك يتناقض مع واجباتهم الوطنية و مع انتمائهم الوطني إلى

¹⁴Robert Assaraf, même ouvrage, p75,76,77.

¹⁵Robert Assaraf, même ouvrage, p77.

المغرب. كما حذر من أن كل انتهاك لهذه القوانين من قبل اليهود المغاربة سيخلف تطبيق العقوبات المناسبة بما في ذلك بطلان الحق الوطني وحق الجنسية¹⁶.

•

اندماج اليهود المغاربة داخل الكيان الإسرائيلي: لقد وجد اليهود العرب المهاجرين إلى فلسطين أنفسهم بمثابة "لاجئين" - تبعاً لوصف روبير الصراف لهم- وأنهم لم يكونوا في الكيان الصهيوني يتساوون في الحقوق مع اليهود الأوروبيين الذين أسسوا قيام إسرائيل، واعتبروا "الآباء المؤسسين للكيان الصهيوني"¹⁷. ويبدو أن اليهود العرب وبالتحديد يهود المغرب العربي، قد اعتبروا من قبل الصهاينة الأوروبيين عالة أو بلا فائدة داخل الكيان الصهيوني في فلسطين¹⁸. وقد كرس مؤسس الدولة الصهيونية دافيد بن غوريون هذا التوجه وعبر عن ذلك في عديد من مقالاته وكتاباتاته، ولم يتوانى عن التأكيد مرارا بأنه "خلال القرون السابقة، أثرت الدول المسلمة بالسلب" على مجمل الجماعات اليهودية¹⁹؛ وهو بذلك كان يقترح في فئة اليهود الصهاينة من العرب والامم الاسلامية الأخرى وكأنه لا غنى عن مثل هذا القدر لتزكية الممارسات والانتهاكات العنصرية الصهيونية ضد عرب فلسطين.

لقد واجه اليهود المغاربة من شمال أفريقيا مشاكل عدة غداة وصولهم كمهاجرين إلى فلسطين المحتلة. فلم يكن للمغاربة مثلاً أية تجربة عن كيفية العيش في مخيمات مؤقتة ولا كيفية الدفاع أو المطالبة بالحقوق السياسية. وهكذا فقد حرّموا من المناصب القيادية. كما أنه لم يتم اتخاذ أية تدابير لتسهيل اندماج المغاربة بالتحديد والوافدين من أفريقيا عامة، داخل المجتمع الصهيوني. ولذا فإن اليهود المغاربة آنذاك لم يتمتعوا بعلاقة طيبة مع سلطات الاحتلال الصهيوني في تلك الفترة.

20

إن مثل هذه الازدواجية الصهيونية في التعامل مع الجماعات اليهودية تدفعنا أيضاً للتساؤل: كيف لكيان عنصري كإسرائيل أن يتبنى أيديولوجيتين متناقضتين: الليبرالية والاشتراكية؟

•

أكذوبة الصهيونية: لقد تبني فريق من الصهاينة الأيديولوجية الليبرالية وتم تبني الأيديولوجية الاشتراكية من طرف فريق آخر من الصهاينة؛ غير أنهما لا يطبقان من طرف المؤسسة الصهيونية إلا على المستوطنين الإسرائيليين. ولذا أطلق عليهما الدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله "الليبرالية الاستيطانية" و"الاشتراكية الاستيطانية"، بمعنى أنهما لا تطبقان إلا على المستوطنين الصهاينة. بالنسبة إلى "الاشتراكية"، يبين عبد الوهاب المسيري في كتابه *الصهيونية والحضارة الغربية*²¹ بأنها آلية

¹⁶Robert Assaraf, même ouvrage, p104.

¹⁷ Robert ASSARAF, « *Juifs Du Maroc A Travers Le Monde/Emigration Et Identite Retrouvee* », éditions Bouregreg, 2^{ème} édition, 2009, p 15-31 ;

¹⁸ 10-24-2009، مدونة أسامة كنعان <http://arabic.rt.com/>

¹⁹ بن غوريون، ترجمة وتحقيق: دينا عبد الحميد (دار القدس، ط1، 1979).

²⁰ Robert Assaraf, même ouvrage , p112.

²¹ أن الصهيونية تضرب بجذورها في التوراة والتلمود والتقاليد الدينية والإثنية اليهودية . واعتقد أن ثمة خللاً تصنيفياً أساسياً هنا ، فالصهيونية ، كما نحاول أن نبين في هذه الدراسة وغيرها من الدراسات ، ذات جذور غربية ثم أضيفت لها ديباجات يهودية ، فالبعد اليهودي في معظم الأحيان بعد زخرف تزييري ،

"ديمقراطية استيطانية" من آليات الاستيطان الاحلالي. والصهيونية في هذا المجال حذت حذو الممارسات الغربية. فالجيوش الفرنسية كانت تقتحم القرى الجزائرية وتنفيذ إملاءاتها الحمائية على المغرب، في وقت كانت شعارات الحرية والإخاء والمساواة ترفرف في العاصمة الباريسية. والثورة الفرنسية جاءت بنابليون، بينما تمخض عن الديمقراطية الأمريكية غزو العراق ومن ثم الشروع في إعمارها عن طريق توظيف الشركات الأمريكية التي اغتنت من خيرات العراق، تاركة العراق يستنزف نفسه بسبب الطائفية.

وإنه من الجلي أيضا أن القوى الغربية التي نادت بالليبرالية أو غيرها من القيم أو الأيديولوجيات، حصرت نطاقها وتطبيقها في الأمم الأوروبية مستثنية آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وبالتحديد الوطن العربي. إن هاتين الأيديولوجيتين هما بمثابة آليات يستعملها الغرب لخدمة مصالحه؛ شأنه في ذلك شأن اسرائيل التي أيضا أنشئت لخدمة المصالح الأوروبية. إذ أن امتهان البشر لا يمكن أن يتم من خلال أيديولوجية واضحة المعالم والأهداف تتبنى صراحةً اذلالهم واستغلالهم. فعندما كان يطلب من الجندي الإنجليزي حمل سلاحه والذهاب إلى أفريقيا فإنهم كانوا يقنعونه بأنه يفعل ذلك في إطار عبء الرجل الأبيض وليس من أجل نهب ثروات الشعوب.

ويطابق هذا توظيف الصهيونية للدين اليهودي عبر تحريفه بغية اضعاف قدر من الشرعية عليها من جهة، وتوظيف الأيديولوجيات السياسية من جهة ثانية لكسب قدر من الشرعية السياسية ومحاولة للملءة القدر الأقصى من التطبيع الفكري مع الصهيونية. ويرى عبد الوهاب المسيري أن الأيديولوجيتين الليبرالية والاشتراكية هما مجرد مدارس سياسية ضمن أخرى استعملتها الصهيونية لتبرير مشروعها في فلسطين وإحداث تأثير تعبوي كبير لأن التنوع في الأيديولوجيات يعزز فرص تحقيق إجماع صهيوني ولو الى حين، خاصة وأن الجماهير التي وجه لها هذا المشروع كانت غير متجانسة وتضم فئات دينية وأخرى علمانية فضلا عن الفئتين الأوليتين الاشتراكية والليبرالية. غير أن التأثير الصهيوني الدعائي الجوهري يركز على تعميم الاعتقاد الصهيوني بأن فلسطين أرض بلا شعب، وأنها بقعة جغرافية بلا تاريخ، وأن يهود العالم شعب بلا أرض، على أن يتركز العنف لتحقيق الرؤية الصهيونية كما كان شأن الرؤية الاستعمارية الغربية من قبل²².

وفي كتابه *مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي* يبين المفكر عبد الوهاب المسيري أن الصهيونية ليست اليهودية لأن الأولى لم تنشأ في الأوساط اليهودية، وإنما تأسست الصهيونية في الأوساط الاستعمارية الغربية، كما أن الفكر الصهيوني إنما اكتمل في كتابات لورد شافيتسيري وسير لورانس أوليفانت، وهو ما يؤكد أن هناك صهيانية غير يهود. أما موضوع أن كل اليهود صهيانية، فإن المسيري يقوضه متبنيا نموذجا تحليليا مركبا لا يكتفي بطرح بديلين اثنين: تأييد أو رفض الصهيونية، وإنما التشديد على نقطة هامة هي أن ظهور الصهيونية ثم الدولة الصهيونية قد اكتسبا مركزية في حياة الجماعات اليهودية. لأن الصهيونية طرحت في البداية نفسها على أنها المتحدث الحقيقي الذي يعبر عن مصالح اليهود وتطلعاتهم. كما أن

أضيف من أجل مقدرته التعبوية فهي في معظم الأحيان ليس لها قيمة تفسيرية أو تنبؤية عالية . ولعلاج هذا الخلل كتبنا هذه الدراسة ، التي تتناول هذه الإشكالية ، والتي نحاول أن توضح العناصر الغربية الأساسية (المادية والمعنوية) التي دخلت في تكوين الرؤية الصهيونية للواقع ، وأن الصهيونية ليست مجرد انحراف عن الحضارة الغربية الحديثة كما يحلو للبعض القول ، وإنما هي إفراز عضوي لهذه الحضارة ولما نسميه بالحداثة الداروينية ، أي الحداثة التي ترمي إلى تحويل العالم إلى مادة استعمالية توظف لصالح الأقوى (في مقابل الحداثة الإنسانية التي ترمي إلى تحقيق التوازن بين الذات والطبيعة والتي تطالب بتكاتف كل أبناء الجنس البشري لإعمار الأرض لصالح البشرية جمعاء بما في ذلك الأجيال القادمة . انظر: عبد الوهاب المسيري، *الصهيونية والحضارة الغربية*، كتاب

الهلال، أغسطس 2003

²²د. عبد الوهاب المسيري، *الصهيونية والحضارة الغربية الحديث*، مرجع سابق ص 25 إلى 257.

حركة الجماعات اليهودية وهجرتهم كانتا مرتبطتين بحركات الاستعمار الاستيطاني الغربي: وعد بلفور مثل العقد الذي تم توقيعه بين التشكيل الاستعماري الغربي والحركة الصهيونية، والذي يقوم على تحويل الفائض اليهودي المتدفق من شرق أوروبا على غربها إلى فلسطين وذلك من أجل تحويل هذا الفائض إلى مادة استيطانية توظف في خدمة الاستعمار الغربي والدفاع عن مصالحه؛ وفي المقابل تقوم القوى الغربية الكبرى -راعية المشروع- بحماية العملية الاستيطانية ودعمها مالياً، وذلك باعتبار أن الحل الصهيوني هو حل مشكلة كثير من يهود العالم الغربي الذين يرغبون في الانتماء إلى الحضارة الغربية وقد حالت اللامسامية الغربية بينهم وتحقيق ذلك²³.



إن الأكاذوبة الصهيونية تستدعي من الدبلوماسية العربية وعلى رأسها الدبلوماسية المغربية أن تتصدى عملياً لكشف زيفها عبر التواصل مع الجاليات اليهودية العربية في فلسطين.. في سنة 1948 كان تعداد يهود البلدان العربية الذين هاجروا الى فلسطين هو 870 ألف نسمة موزعين كالآتي:

- 36 ألف يمني؛	- 135 ألف عراقي؛
- 30 ألف سوري؛	- 5 آلاف لبناني؛
- 85 ألف مصري؛	- 38 ألف ليبي؛
- 140 ألف جزائري؛	- 105 آلاف تونسي؛
- 265 ألف مغربي.	

والسؤال الذي يطرح نفسه بخصوص الصهاينة من اليهود العرب والفئة المغربية منهم تحديداً : أين هم اليوم خاصة أن "الطائفة المغربية اليهودية" هي ثاني طائفة يهودية كبرا في العدد تتواجد في الكيان الصهيوني بعد "الروس": انهم يمثلون اليوم أكثر من 700000 شخص يهودي اسرائيلي من أصل مغربي ومسجلين أيضا على أنهم يهود مغاربة؟!²⁴.

لقد رأينا آنفاً، أن المغرب كان دائما يحافظ على ابقاء علاقة خاصة مع جميع رعاياه اليهود الذين هاجروا الى فلسطين منذ النصف الثاني من القرن العشرين؛ وذلك على الرغم من الدعم العاطفي الذي يكنه الشعب المغربي تجاه القضية الفلسطينية. ان المغرب الرسمي على بينة تامة من الخطأ الأدبي والسياسي الفادح في حالة اقضاء هذه الفئة من السكان اليهود وذلك بغض النظر عن مساهمتهم في اعلاء الاقتصاد المغربي أو مدى قدرتهم على فتح افاق سياسية مهمة أمام بلدهم المغرب لا سيما في الغرب. ومن مظاهر اهتمام الدولة المغربية بيهوديتها المهاجرين، هو طلب القصر من عدة شخصيات يهودية باريسية وغيرها مهاجرة من أصل مغربي، الرجوع الى المغرب وشغل مناصب هامة. وبالمقابل فإن المغاربة بشكل عام يفتخرون عموماً بنجاح اخوانهم اليهود المغاربة في الخارج (سواء تعلق الأمر بوزير أو بفنان ناجح مثل جاد المالح).²⁵ ولا يجب تغيب معطى مهم، هو أنه يوجد من اليهود المثقفين المغاربة من يعادون بشكل قطعي الصهيونية معتبرين أن المغربي اليهودي يتوجب عليه البقاء في محيطه المغربي بين اخوته المغاربة، ونذكر من أهم هذه الشخصيات اليهودية النابغة:

- ابراهيم سرفاتي الذي ساهم في دعم أطروحة مناهضة الصهيونية فور خروجه من الاعتقال،

²³د. عبد الوهاب المسيري، مقدمة لدراسة الصراع العربي الاسرائيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، طبعة 1، 2002، ص 36، 37، 38.

²⁴Pierre Vermeren, "Le Maroc de Mohammed VI: la transition inachevée, Le Maroc, ses juifs et Israël, la découverte. Paris, 2009, p198

²⁵Pierre Vermeren, "Le Maroc de Mohammed VI: la transition inachevée, Le Maroc, ses juifs et Israël, p199.

Voir aussi; Yigal Bin Nun, "la négociation de l'évacuation en masse des juifs du Maroc", in Smuel TRIGANO (sous la dir. De), la Fin du judaïsme en terre d'islam, Denoël, Paris, 2009.

- عمران المالح الذي كان دائما يطالب بتوقف اليهود المغاربة عن الهجرة الى فلسطين واحتلالها؛
 - سيون أسيدون Sion Assidon الذي يناضل من أجل القضية الفلسطينية
 - وسيمون ليفي Simon Levy الذي أسس أول متحف للحضارة اليهودية بالدار البيضاء.
 كما أن هناك فريق يهودي اخر ينشط سياسيا في خدمة ملكه ووطنه. ونحن نتكلم عن رجال يهود مغاربة ولدوا في المغرب وترعرعوا فيه، الا أنه يسجل لهم المرور من محطات أخرى هي باريس بالنسبة لأكثرهم. هؤلاء الرجال أعطوا صورة مشرقة ومنفتحة للمغرب وساهموا في تمثيل الملكية في أهم الأوساط السياسية الخارجية المتمثلة في فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها²⁶.

وقد ذكرنا قبلاً بيرديغو الذي أسس سنة 1987 مجلس الجاليات الاسرائيلية بالمغرب؛ وأيضاً روبير الصرافالأمين العام للتجمع العالمي لليهودية المغربية والذي وقع سلسلة من الكتب والمراجع التي تحتفي بالروابط بين المخزن واليهود المغاربة. وبالنسبة لأندريه أزولاي André Azoulay فقد كان الوجه الممثل للحضور المغربي في الأوساط الأهم بباريس. واعترافاً بالأهمية المجتمعية والمساهمة السياسية والثقافية التي أبدتها هذه الشخصيات اليهودية المهمة للمغرب، فقد حرص "القصر" أيضاً على عدم التفريط بعلاقتها الوثيقة والمباشرة مع المغاربة الاسرائيليين، لكن السياق السياسي المتوتر للصراع العربي الاسرائيلي كثيراً ما يحيط هذه العلاقة بقدر كبير من الحرج والفتور كما كان عليه الأمر مثلاً بعد الانتفاضة الثانية والحرب على العراق في 2003 والحرب على لبنان في 2006 ثم الحروب الممحنة المتكررة على غزة. وبالإضافة الى كل ذلك، يجب التشديد على أن دعم الوجود اليهودي بالمغرب لم يقتصر على الدولة والوسط الملكي، وإنما تم تعزيزه من خلال بعض الشرائح المغربية المثقفة. ونذكر على سبيل المثال مساهمات كل من محمد كنيب وجمعة بيضة وأحمد شحلان الذين اثروا التاريخ والحضور الثقافي اليهودي المغربي أو تخصصوا باللغة العبرية. كما نذكر على سبيل المثال المساهمة القيمة التي قدمتها مجلة Tel Quel من خلال ملف نونبر 2008 الذي تناول عنوانه: "اليهودي فينا، في قلب الهوية المغربية" Le juif en nous, au cœur de l'identité marocaine، وهو ملف عمل عليه الأستاذ روث جروسريشارد Ruth Grosrichard، ويعكس الرغبة المغربية في مناهضة اضمحلال مساهمة اليهود المغاربة في ثقافة بلدهم بصفة خاصة.

لقد بينت الاستقصاءات التي مورست حول القيم الدينية سنة 2007 محدودية الجهود المغربية في الحفاظ على الوجود اليهودي بقوة داخل المجتمع المغربي، إذ أظهرت احصائيات وجود 63% من المغاربة المسلمين الذين يفضلون التعامل مع مسلم أفغاني عوض يهودي مغربي وهذا مقابل 12% ممن فضلوا اليهود المغاربة. ولعل أهم سبب يبرر هذا التباعد بين المغربي المسلم والمغربي اليهودي هو نزوح الكثير من اليهود المغاربة وتفضيلهم الصهيونية والاندماج داخل الكيان الاسرائيلي الذي يغتصب يومياً حقوق العرب الفلسطينيين الذين يعانون من الاحتلال الاسرائيلي سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين²⁷.



²⁶Pierre Vermeren, "Le Maroc de Mohammed VI: la transition inachevée, Le Maroc, ses juifs et Israël, p 200.

²⁷Mohammed Kenbib, juifs et musulmans au Maroc, 1859-1948. Contribution à l'Histoire des relations intercommunautaires en terre d'islam, Université Mohammed V, Rabat, 1994.

Voir aussi: Mohamed HATMI, "les juifs du Maroc: histoire, identité et exode", le journal hebdomadaire , du 5 au 11 mai 2001.

إن ثقل الكتلة اليهودية المغربية التي استوطنت فلسطين في اطار المشروع الصهيوني وتعلّقها بمغربيّتها وتقبل عموم المغاربة لاعتزاز اليهود المغاربة بهويتهم المغربية، وبالأخص عندما يتحرروا من ارتباطهم بالمشروع الصهيوني الذي يكرس شكلاً من أشكال القطيعة بينهم وبين أهلهم ومواطنيهم بالمغرب، هي كلها اعتبارات تستدعي التأسيس عربياً ومغريباً بالخصوص، لاستراتيجية جديدة في التعامل مع اليهود المغاربة وسائر الجاليات اليهودية العربية في فلسطين وبما يجعلهم عنصراً فاعلاً في تصفية المشروع الصهيوني فيها، وذلك من أجل أن يكونوا جزءاً من حل مشكلة فلسطين حلاً عادلاً يعيد الحق لأصحابه ويعيد بالتالي لحمة اليهود العرب بغيرهم من مواطنيهم العرب وبحضارتهم العربية..

•